قراءة

كلّ طاقة الدائرة التي التفّت حول مجلة «شعر»، بل طاقة الشعر العربي الجديد، تتجلّى في مقدّمة «لن» لأنسي الحاج، الذي تمرّ اليوم ذكرى رحيله السابعة. نصٌّ يشفّ عن انتباه اجتماعيّ نادر عربيا، وعن رغبة في الإحاطة نظرياً بشيء قيد التأسيس

شوقي بن حسن

أنسي الحاج من مقدّمة «لن» إلى خواتمه

حيث يرتاح الشاعر

قصيدة النثر اليوم أمرٌ واقع في الثقافة العربية. باتت - منذ عقود - البوّابة الرئيسية كي يكون أحدهم شاعراً عربيّاً في أيّامنا. ولكي تنتزع هذه المكانة فوق خريطة الثقافة العربية، خاضت قصيدة النثر «حربَ مواقع»، فقاتلت عفويّة - في ما يسمّى نظرية الأجناس، أي ذلك الإطار النظريّ الذي ينشغل بالكيفيّة التي يتشكّل بها فضاءُ مخصوص يتجانس فيه طيف واسع من النصوص، ولا يخفى أن هذا الإطار من حقول المعرفة شبْه المهجورة عربياً. يدلّنا الحاج في مقدّمته على المعنى العميق لوجود الأجناس الأدبية؛ إنّها أشكالٌ كتابيّة ينبغي أن يرتاح فيها المؤلّف، وتساعده في التقاط غير المرئيّ في أعماقه وفي ما يحتكّ به من العالم. وها نحن نلمس وعياً صريحاً بهذا الدور في قوله: «كلّ مرادنا إعطاء قصيدة النثر ما تستحقّ: صفة النوع المستقلّ. فكما أن هناك رواية، وحكاية، وقصيدة وزن تقليديّ، وقصيدة وزن حرّ، هناك قصيدة نثر».

يتجاوز هذا القول ذلك الأفق المسطّح الذي يتلقّى فيه المؤلّف الأجناس التي يكتب ضمنها كمُسَلَّمات. وإنّ نظرةً على سلّم زمني كبير تُظهر أنّ الأجناس الأدبية مجرّد مخترعات؛ إنّها جهد بشري، تشكيلٌ متواصل من موادّ اللغة والكون. ولعلّ ثقافتنا العربية لم تبتل بشيء كابتلائها بذلك التقسيم الموروث الفضفاض بين شعر ونثر (هناك ابتلاء اكبر يظهر في العقود الأخيرة، يتمثّل في الاعتقاد بأنّ التصنيف الأجناسي انتهى مع الماضي). هناك منطقة وسطى، بل هناك مناطق وسطى، لعلّ نص الحاج كان لحظة الوعي الأكثر تجلّياً وتوهّجاً بأنّه لا معنى لقولٍ مثل «الشعرُ شعرٌ والنثرُ نثرٌ». حتّى المحاولة التوفيقية الإصلاحية التي جاء بها الجيل الشعري السابق (بدر شاكر السيّاب، نازك الملائكة، صلاح عبد الصبور...) لم تَعُدْ تنتج المعنى (كما لم تقم على أسس تنظيريّة صلبة). لذلك، أصبح من الضروريّ ابتكارُ أفقٍ جديد يتيح تهجّي غموض الشكل في ذاتِ الشاعر العميقة؛ شكل الكتابة باعتباره مسكناً لتوليفة المشاعر والأفكار التي تُقيم في الكينونة.

تدفع اللحظة التأسيسيّة أنسي الحاج إلى التأكيد أنّ قصيدة النثر هي الأفق الأوسع للشاعر، ولكنّه يحبّ أن يتراجع، فلا علم لـه بالغيب. يقول: «في كل شاعر مخترعٌ لغة. وقصيدة النثر هي اللغة الأخيرة في سلّم طموحه، لكنّها ليست باتّة. سيظلّ يخترعها». ولعلّه فعلل ذلك بعد عقود، فآخترع ال«خواتم».

هناك بُعدٌ آخر لمقدّمة الحاج، يمكن التقاطه إذا ابتعدنا بمسافةٍ عن قضايا الشعر. يشتغل نصُّه مثل محاولة إحاطة فكرية بشيء قيد التأسيس. قصيدة النثر في 1960 ليست سوى مشروع يحتاج إلى خطّة أبعد من حماسة كُتّابه. ولذا، فقد كان للمقدّمة، أيضاً، بُعدٌ تنظيري - قائم على بناء منهجي - قليلٌ توفّره في الثقافة العربية. يعود الحاج إلى ينابيع الشعر العربي. يفكّك الشكليّات التي انبنى عليها تعريفُ القصيدة من خلال الظاهريّ منها، وزناً وقافية، فيكتب: «لو رجعنا إلى الأوزان العربية التقليدية لوجدنا أنها وُضعت استناداً إلى قصائد كانت موجودة قبل الوصول إلى تقنين الأوزان المعروفة، فكان لكل شاعر عربي إيقاعاته الخاصة التي يكتب قصيدته على أساس منها». ومن ثَمّ ينطلق إلى حسم منطقي حين يضيف: «هل يمكن أن نُخرج من النثر قصيدةً؟ أجل، فالنظم ليس هو الفرق الحقيقي بين النثر والشعر. لقد قدّمت جميع التراثات الحية شعراً عظيماً في النثر، ولا تزال. وما دام الشعر لا يُعرف بالوزن والقافية، فليس ما يمنع أن يتألّف من النثر شعرٌ، ومن شعر النثر قصيدةُ نثر».

> لحظةُ وعي نادرة بتلك المناطق الوُسطى بين الشعر والنثر
>
> ضخّت مقدّمة «لن» تصوّرات جديدة في دماء الشعر العربي

لم يقف أنسي الحاج عند نسف فرضيات تقنيد مشروعية قصيدة النثر، بل سيُقدم على وضع محاولة تنظيريّة، متبنيةً إلى حدّ ما، فيحدّد بنوع من الترميق الأجناسي (Bricolage générique): «لتكون قصيدة النثر قصيدة نثر، أيْ قصيدةً حقّاً لا قطعة نثر فنّية أو محمّلة بالشعر، شروطٌ ثلاثة: الإيجاز (أو الاختصار) التوهّج، والمجّانية». لكم تفتقد الثقافة العربية - ليس الشعر وحده - إلى هذا الأفق التنظيريّ الذي يُحيط بالأشياء فيقودها إلى نوع من الانتظام؟ انتظامٌ نحتاجُه في ما يسمّيه الحاج «زمنَ السرطان». يقول: «نحن في زمن السرطان. هذا ما أقوله ويضحك الجميع. نحن في زمن السرطان: هنا، وفي الداخل. الفن إما إيجازي أو يموت. نحن في زمن السرطان: نثراً وشعراً وكل شيء. قصيدة النثر خليقة هذا الزمن، حليفته، ومصيره».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

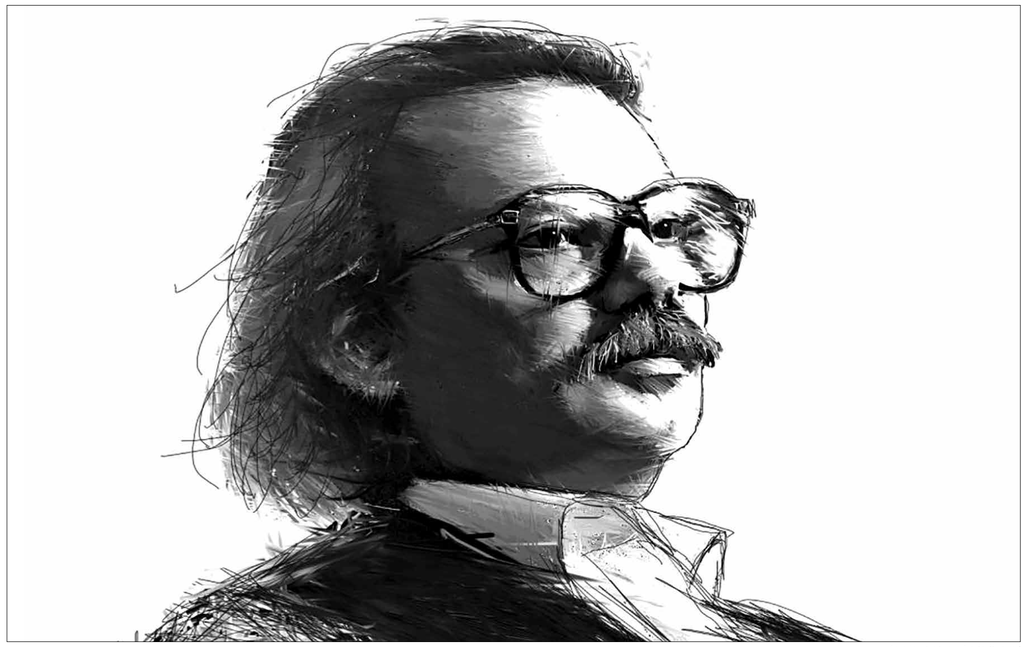

أنسي الحاج (رسم: إميل منعم)

خطواتٌ لم تُستكمَل

إلى حدّ كبير، وفي ما عدا كتابات قليلة، يمكن القول إن هناك توقّفاً، في التنظير الشعري العربي، عند النقطة نفسها التي بلغها الشاعر اللبناني في أوّل خطوات مشواره. أنسي الحاج نفسه توقّف عن هذا التوجّه، إلا في بعض ما نلتقطه في «خواتمه» التي ستصدر في تسعينيات القرن الماضي، وقد كانت هي الأخرى محاولة اكتشاف أجناسيّ، دون أن ترافقها مقدّمة تنظيرية كما هو الحال مع قصيدة النثر في مجموعته «لن» (1960).

قصائد

لم نولَد في بيروت.. لم نكبر فيها

أحلام زائلة لطفل سيكبر في الصباح

احمد الأمين

أسبابُ الفرح

1- بيتنا في الجنوب.
2- أشياءُ تحتفظُ بها جدّتي.
3- خاتَمُ الفيروز بجوار سرير أبي.
4- صوَر أمي القديمة.
5- مكتبة بيت برج البراجنة حيث تهجّرنا.
6- الملاحظات التي دوّنتها على دفتري.
7- حرشُ الصنوبر الذي كان يحيطُ بالمدرسة.
8- مكاننا السريّ الذي توقفتُ عن زيارته.
9- صورة جدي.
10- أغنية «وحدَن».

وما اعتدتِ قولَه دائماً: «يدُ دافئة وحسب».

في العراء

كلّما احببتُ
وقع حائطٌ في قلبي
أنا الآن في العَراء
كلُّ المنازلِ لا تُشبهني.

في المطار

أوصلَ مريمَ إلى المطار
للمرّة الأخيرة
تفلتُ يدي في صالةِ المغادرة
وترحلُ
كثيرةٌ هي الأيادي التي انزلقتْ منّي في السّنوات الأخيرة
لكنّي اختنقتُ بيديكِ يا مريم.

وحشةُ البيت

الصّمت حينَ يحلُّ في منتصف الحديث،
صفو ملامحكِ من الحَزَن
حينَ تمرُّ أغنيتكِ المفضّلة،
العظام التي تتذمرين منها في منتصف أصابعك
خصلةُ الشّعر التي تعيدينها إلى الوراء.
...
أنا غارقٌ في التفاصيلْ
إنها رائحتُكِ التي انتشرها في الغرف
كي لا أستوحشَ البيت.

فاطمة

(إلى فواز السمّان)

محدّقةٌ في العدسة، تقفُ فاطمة
على كتفِها اليمنى تستريحُ صبيّةٌ من حزنِها
على اليسرى تنامُ طفلةٌ، هي مَن بقي لها
من أخيها.
...
حاملةٌ حزن العائلة تقفُ
عينانِ ثابتتانِ في العدسة.

مشهدٌ يُراد لهُ أن يكونَ قاتماً
ويرادُ لنا أن نقفَ مكسورينَ أمامهُ.
...
«كلُّ هذا الأسى سيكون غضباً ضد هؤلاء القتلة»
هذا ما تقولهُ عينا فاطمة في الصورة.
محدّقةٌ في العدسة، تقفُ فاطمة
وعيناها تقولان شيئاً آخر.

لقاء

سنلتقي في الشّارع
في سوقٍ تجاريّة ضخمة
ستجمعُنا الصّدفةُ في حانةٍ أو في مصعد ضيّق
حيثُ لا مسافةَ تفصلُ بين وجهينا،
سيكون عليّ حينها ألّا أنظرَ إليكِ
ستتجاهلينَ بدوركِ التعب الظّاهر تحتَ عينيّ
سأتظاهرُ أنّني لا أعلمُ بأمرِ الشّامة في أسفل ظهركِ
وأنّني لم أعرفْ من نظرة واحدة كلّ ما مررتِ به في يومكِ
سيحلُّ صمتٌ ثقيلٌ لدقيقتين أو أكثر
حتّى نتمكن من دفنِ سنواتِنا الثلاث بنجاحٍ باهرْ.

ولدتُ للتوّ

كلُّ شيء كانَ جميلاً
الهواءُ الذي انسابَ على وجهي
قالَ لي: هذه هي المرّةُ الأخيرة.
...
لا أتذكّرُ عددَ المرّات الأخيرة
عدد السّلامات العابرةِ في المصعدْ
المرّات التي
علقَ فيها حُزنُ أحدهم
على ثيابي.
هذه اللّيلة
قلبي نافذةٌ مُشرّعة
قلبي تركتُهُ
فوقَ عنقِ الصبيّة النّاعسة
لا لشيء
سوى أنّها وضعتْ عطراً أحبّهُ.
...
كلُّ شيء كانَ جميلاً
خاتمُكِ الذي تحرّكينهُ كلّما حلَّ السّكون
صخبُ الشّوارع
الغرابةُ حينَ تمشي في دمي
الحزنُ يعتريني لأسبابٍ تافهة.
...
كلُّ شيء كانَ جميلاً
ودافئاً
كأنّني ولدتُ للتوّ.

تلميح

أحياناً أريدُ فقط أن أتركَ وحيداً.
وأخرى، يكفيني فيلمٌ عاديّ لأفرحَ.
أنا إنسانٌ بسيط.
كلُّ ما أريدهُ هو البوحُ.
أن أقول لكِ، باستياقٍ، كم أنتِ جميلة،
لحظة تخرجينَ المرآة من محفظتك الصغيرة.
أن أضحكَ لرؤية ملامحك الجادة بينما تتكلّمينَ عن الأبراج، وتفسّرين لي كم نحنُ «العذراء» عنيدون ومتصلّبون ولا يُرضينا شيء.
أنا إنسانٌ بسيط. عاجزٌ عن قول شيء.
كثيراً ما أسكتُ في اللّحظات الخاطئة.
في المرّة الأخيرة
عندما ابتسمتُ طويلاً كنت أريدُ أنْ أقولَ: أحبُّك.

(شاعر لبناني من مواليد 1988. والقصائد مختارة من مجموعته الشعرية الأولى التي تصدر قريباً عن «دار النهضة العربية»، بعنوان «المرأةُ جدارٌ آخر» ضمن سلسلة «أصوات» الشعريّة)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

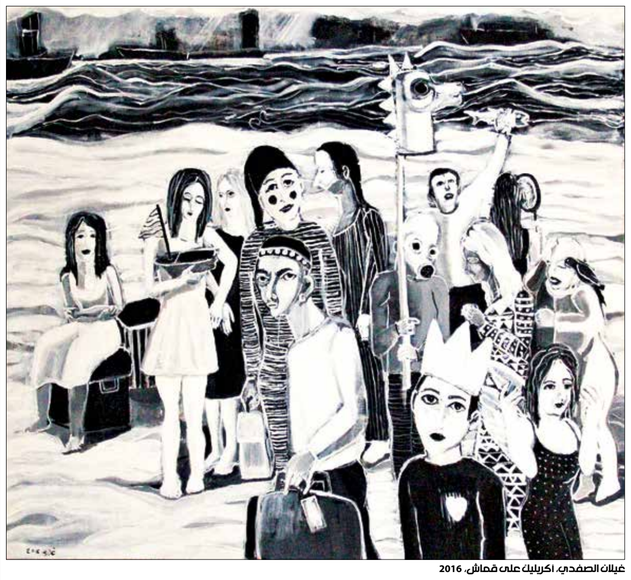

غيلان الصفدي، اكريليك على قماش، 2016

صوت جديد

التصنيف بحسب الأجيال عبثي وغير منصف

علي الحمزة

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

بغداد ـ **العربي الجديد**

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

لا يوجد شيء اسمه الكتابة الجديدة. ربما «مرحلة جديدة»، فالكتابة شبيهة بالكائن البشري؛ تنمو وتتطوّر - لكنّها لا تنقطع - ليظهر طور جديد.

■ هل تشعر بنفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه؟ وما هي هذه الملامح؟

برأيي، هناك إشكاليّة متعلّقة بمفهوم المجايلة الأدبية، وأنا أجدها تصنيفاً عبثيّاً غير مسنَد إلى ركائز دقيقة. فعندما يُراد تصنيف عدد من الشعراء أو الكتّاب أو غيرهم، لا توجد طريقة غير رزْم أولئك الأفراد كلّاً حسب عمره أو حسب تاريخ ظهور تجربته الأدبية. وهذا في الواقع غير منصفٍ للنماء الأدبي أو لغزارة التجربة.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

جواب هذا السؤال يعتمد على جواب السؤال السابق؛ إذ لا يمكن إطلاق العلاقة مع جيل كامل سابق في حين تجد أنّ التداول الأدبيّ أو الاجتماعيّ الذي يكوّن العلاقة هو بين شخص أو اثنَين أو حتى عشرة. لذلك تكون الإجابة: إن تفكير الإنسان وعلاقاته قائمة على بناء مسبق مستمَد من تجارب محيطه، وهذا ما يجعل أصحاب التجارب السابقة أصحابَ فَضْل، حيث لا يمكن الاستغناء عن تكوين علاقات معهم، علاقات ناجحة وتستحق الكثير من الاحترام.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

علاقة شبه مستدامة، لأن الإنسان لا يمكنه العيش في حالة من الانعزال عن مجتمعه، فما بالك بالمجتمع الثقافيّ الوطنيّ الذي يكون فاعلاً في التأثر والتأثير.

■ كيف صدر كتابك الأول؟ وكم كان عمرك؟

صدر أول كتاب لي، «البلابل تلوك التين»، وهو قصة قصيرة للأطفال، عن «منشورات مصابيح»، وقد كان محاولة لإنقاذ الطفولة العراقية عام 2019، أي عندما كنت في عمر 35 سنة.

■ أين تنشر؟

هنا وهناك. العالم شبه مفتوح، والتكنولوجيا في تسارع خارق. أنشر إلكترونياً وفي المجلات الورقيّة من جانب، ومن جانب آخر أنشر الكتب الورقية المستقلة في «منشورات مصابيح» لكتاب الطفل في بغداد و«دار تأويل» في أوربرو في السويد.

> الترجمة تعني أن تغمض عينيك ويصفَ لك شخصٌ آخر ما يراه

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

بطاقة

شاعر وقاص من مواليد 1983 في بغداد. حاصل على ماجستير طرائق تدريس اللغة العربية، وهو طالب دكتوراه حالياً. وهو عضو مؤسّس في فريق «تعال نكتب في بغداد» لتعليم الأطفال كتابة القصّة القصيرة. صدرت له قصّتان قصيرتان للأطفال عن «منشورات مصابيح»: «البلابل تلوك التين» (2019)، قصة قصيرة للأطفال، و«النهر عائلتي، الغابة أيضاً» (2020) مجموعة شعرية، تحت عنوان «أنا لست وحيداً، أنا بمفردي» (2021)، عن «دار تأويل» في السويد.

علي الحمزة (تصوير: احمد محمود)

فعاليات

صاحبة الجلالة عنوان معرض جماعي يتواصل في فضاء CSA بالقاهرة حتى بعد غدٍ السبت. يضمّ المعرض، الذي سبقت إقامته في روما العام الماضي، أعمالاً لسبع وثلاثين فنّانة تشكيلية من أجيال واتجاهات مختلفة، من مصر، والكويت، وإيطاليا، وفرنسا، والنرويج، والفيليبين، وصربيا، وبيلاروسيا، ونيوزيلندا.

يتواصل في «فيلا عبد اللطيف» بالجزائر العاصمة، حتى السادس والعشرين من الشهر الجاري، معرض **ضفّة شرقية** للفنّان التشكيلي الجزائري المقيم في فرنسا **حكيم تونسي** (1965). في المعرض، الذي افتتح السبت الماضي، يُقدّم تونسي مجموعة من اللوحات التي تتراوح بين التجريد والتصوير، وتحضر فيها العمارة الموريسكية والأشجار التي يتّخذ منها رمزاً للحياة البشرية.

يحتضن «نادي سينما الريو» في تونس العاصمة، عند الثالثة من بعد ظهر الجمعة، 26 من الشهر الجاري، عرضاً لفيلم **جنين، جنين**، تليه جلسة نقاش مع مخرجه **محمد بكري**. يوثّق الشريط، الذي قضت محكمة «إسرائيلية» بمنع عرضه حديثاً، لاقتحام جيش الاحتلال مخيّم جنين في فلسطين وارتكابه مذبحة عام 2002.

حتى الأول من آذار/ مارس المقبل، يتواصل، في «غاليري روى» 32 للفنون» في عمّان، معرضٌ للفنّانة التشكيلية الأردنية **داليا علي** تحت عنوان **حنين القلب**. في لوحاتها التي تُنجزها بالأكريليك غالباً، تستكشف علي، التي درست الهندسة المعمارية، الجمال الكامن في الطبيعة والمباني والشكل البشري.